نهاية المشروع برمّته. ويتوقع بعض الاسرائيليين الآن (خاصة حزب العمل الاسرائيلي)، ان الذهاب الى السلام قد يوفّر فرصة غير واضحة المعالم لتخريج مأزق الوجود التاريخي، وليس فقط مأزق الاوضاع الداخلية. وعندما نحلّل موقف قادة حزب العمل، يمكن القول ان الاخيرين يدركون ان ثمّة مأزقاً وجودياً يكمن في المشروع الاسرائيلي. ولهذا، فالسلم المقترح مدخل الى تخريج الموقف المأزقي حول عدم وضوح الصورة عن الوجود المستقبلي، علّ الاسرائيليين يستطيعون ان يجدوا طريقة لتوظيف الشرعية الحقوقية، التي تمّ الحصول عليها بمبادلة الارض المحتلة بالسلام لصالح شرعية وجودية وتاريخية، يتمنّاها الأخيرون.

هذه المحاولة تعلن ان السكونية السياسية قد سُقفت بعد استثمار دام أربعين عاماً، وانها لم تعد تصلح، بوجهها الحالي، لبناء صورة واقعية للاستمرار. وهنا تأتي محاولات السلام على شكل تحريك صوب المجهول، طالما ان المعلوم لا يقدم حقيقة وجودية مستقرة. وفي هذا أكّد هركابي «ان على اسرائيل ان تختار لا بين السيىء والحسن، ولكن بين السيىء والاسوأ، وان عليها ضرورة الفصل بين الخطة الكبرى والسياسة، ذلك ان سياسة الضمّ ستحوّل اسرائيل الى دولة فلسطينية، وان اسرائيل المنتصرة على المستوى التكتيكي لا تمثّل موقفاً رابحاً على المستوى الاستراتيجي»[١٨].

هذا الموقف الاستراتيجي في الرؤية يتجاوز اطروحات حزب العمل. لكنه يكاد ان يتقاطع واياها في الاحساس بضرورة ايجاد التخريج المطلوب لأزمة واضحة. ولعل ابا ايبن أكثرهم احساساً بالأزمة، بقوله: «ان اسرائيل، الآن، عند مفترق الطرق؛ فامّا ان تتعارض وتبادل الارض بالسلام وتحافظ على ' حلم ' اقامة الدولة اليهودية، وامّا ان تتخلى عن هذا الحلم وتصبح دولة قمعية مستبدة يحكم مصيرها صراع داخلي رهيب»[١٩].

وفي الجانب الليكودي، ذهب الاسرائيليون الى استخدام القوة والتشديد على اتباعها واستثمار الموقف العسكري، حتى ولو خاض الحكام الحروب بدون اجماع، كما حدث العام ١٩٨٢. وهذا الاتجاه رأى بأن تخريج الازمة لا يكون الاّ بمزيد من الهرب الى أمام. ولكن هذه السياسة العسكرية تعاني، اليوم، من مفارقات واضحة؛ فهي ادركت، بعد تجربة حرب العام ١٩٨٢، ان سياسة القوة العسكرية ليست ناجحة على المدى الاستراتيجي، بل انها تكاد ان تحقق رؤية هركابي آنفة الذكر بأن المنتصر على المستوى التكتيكي لا يمثّل منتصراً على المستوى الاستراتيجي. وهذا، بالضبط، ما أعاد القوة العسكرية الى حدودها الطبيعية، حيث أصبح، الآن، مفهوماً ان العمل العسكري المباشر لم يعد ناجعاً تماماً، وهذا ما يفسّر كيف انسحب الاسرائيليون وعادوا الى التعامل مع «الخطر الفلسطيني» في لبنان على طريقة نموذج حرب الليطاني في آذار (مارس) ١٩٧٨، وليس على طريقة ما دعي «بعملية سلامة الجليل» العام ١٩٨٢.

لقد اثبتت حروب اسرائيل انها فاشلة في صناعة مستقبل أوضح لهذه الدولة الهجين. ومع ذلك، فان الليكود يواصل التشدّد، حيث يرى ان على اسرائيل ان تعيش في خطر الحروب، على ان تتقدم بتنازل يعرّضها للفناء. وهذه الرؤية المتوارثة عن سياسة درجت عليها اسرائيل لفترة طويلة دونما أي فائدة، انّما تشكّل الوجه الآخر لعملة أسمها «المأزق الاسرائيلي»، أي مأزق الوجود ذاته، في بنيته وتاريخه وآفاقه.

ان الاتجاه الداعي الى التشدّد، خاصة في شقّه العسكري، انما يؤكد اعتباراته انطلاقاً من المأزق الآخر الذي يمكن ان تخلقه حالة السلام، حيث تواجه اسرائيل بسببها ـ وفق هذه الرؤية